عظة القداس الإفتتاحي للعام الدراسي

بسم الآب والإبن والروح القدس الإله الواحد آمين

ياأحباء، اخترنا أن نتلو في هذا القداس الإلهي الأول الذي نقيمه في بدء هذا العام الجديد المقطع الإنجيلي من إنجيل متى، عندما أتى رجل إلى تلاميذ الرب يسوع مع ابنه لكي يشفوه فلم يستطيعوا، كان به شيطان يعذبه ويؤلمه ومن ثم أتوا به إلى الرب يسوع،فشفاه الرب يسوع وطرد الشيطان، ومن ثم سأله تلاميذه على انفراد: لماذا لم نستطع نحن أن نشفي هذا الشاب؟ فقال لهم: لو كان لكم إيمان مثل حبة الخردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا واهبط في البحر يهبط، وهذا الجنس لايخرج إلاّ بالصلاة والصوم.

وانتهى المقطع الإنجيلي ذاكراً أن ابن البشر مزمع أن يسلم إلى أيدي الناس فيقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم.

وكذلك المقطع الرسائلي للرسول بولس الرسول حيث يقول مذكراً إيمانا في رسالته إلى أهل كورنثوس، يقول الرب على لسان النبي حيث يقول(سأسكن فيهم وأسير فيما بينهم وأكون لهم إلهاً ويكونون هم لي شعباً وأكون لكم أباً وتكونون أنتم لي بنين وبنات يقول الرب القدير)

وإذ لنا هذه المواعد فلنطهّر أنفسنا من كل أدناس الجسد والروح ولنكمّل القداسة بمخافة الله.

هذان المقطعان من الكتاب المقدس نستطيع أن نتعلم منهما الكثير، ولكن دعوني يا أحباء أن أوجه إنتباهكم إلى بعض الأمور.

الامر الأول: وكأن الرب يسوع يلمّح في المقطع الإنجيلي في الحادثة التي سمعناها عندما شفى هذا الممسوس يلمّح إلى موضوع الإيمان.

لو كان عندكم إيمان كحبة الخردل لكنتم تستطيعون أن تقولوا لهذا الجبل انتقل من هنا واهبط في البحر. وهذا يطرح سؤال مهم جداً وواسع جداً ومتشعّب جداً، ماهو الإيمان؟

هل الإيمان هو مجرد نظرياً، عقلياً، ذهنياً، أن يقرّ الإنسان ويعترف بوجود قدرة نسميها الإله هذه القدرة قابعة في السماوات ونحن هنا على الأرض نخاف هذه القدرة ونخشاها ونسأل ونطلب من هذه القدرة الإلهية كي تغدق علينا بالنعم والخيرات أو كي تنجي من الجحيم والعذاب. هل هذا هو الإيمان؟ هل هي هذه علاقة الإنسان بالإله. الإيمان أكثر من هذا بكثير كما نعرف جميعنا.

ومن ثمّ يلمّح الرب يسوع على أمر مهم جداً، هذا الجنس لايخرج إلاّ بالصلاة والصوم.

نعم ياأحباء، في حياة كل إنسان مؤمن وكل إنسان مسيحي بشكل خاص للصلاة والصوم معنى كبير في حياته، وهو كشخص يعيش في وسط الجماعة المؤمنة في الكنيسة.

الصلاة لانستطيع الآن أن نعطي تعريف إلى ماهية الصلاة، ولكن الصلاة بوجه من وجوهها هي هذا المجيءإلى الحضرة الإلهية والمكوث أمام الله، الصلاة كما نفعل الآن في هذا القداس الإلهي في هذه العبادة الجماعية وكأننا تركنا الدنيا وما فيها وبالرغم أن كل مافي الدنيا هو صالح والله خلق كل شيء صالح، الإنسان قد يكون أوجد الشر، لانترك نحن العالم ومافيه لأننا نبغض العالم ولكن لأننا نطلب ما هو الأعظم. نريد أن نكون في الحضرة الإلهية، فكلنا الآن مجتمعين هنا وبعد قليل سنقول لنطرح عنا كل اهتمام دنيوي وهناك بعض الإهتمامات التي قد تكون ضرورية ومهمة في بعض الأحيان لكن الآن لنطرح عنا كل اهتمام دنيوي كوننا مزمعين ان نستقبل ملك الكل.

الصلاة إن كانت الفردية التي يؤديها كل واحد في غرفته أو حيث هو، والصلاة العبادة الجماعية كشركة في المسيح يسوع وكعائلة في المسيح يسوع، والصلاة بوجه من وجوهها هي هذا المجيءكما ذكرت إلى الحضرة الإلهية والركوع عند قدمي الرب يسوع، وهذا أمر ليس سهل وكما هو الصوم، ماهو الصوم؟

الصوم نستطيع أن نعطي معاني عديدة جميلة وأيضاً الصوم بوجه من وجوهه إذا أردتم هو إمساك، يقرر الإنسان في الصوم أن يمسك عن أمور معينة أن يتعفف عن أمور معينة وأن يلتصق في أمور أخرى.

الصوم هو هذه المسيرة مسيرة الإمساك والتعفف أن يترك الإنسان العتيق الخطيئة وكل ما هو مرتبط بالخطيئة وأن نلتصق بالحياة بالرب يسوع بالحياة الجديدة وبالفضيلة وبكل مايزين الحياة المسيحية من أخلاق نتعلمها من الكتاب المقدس.

الصلاة والصوم ركنان أساسيان في حياة كل مؤمن فكم بالحري في حياة من يريد أن يكرس نفسه وحياته للرب، وفي حياة من يريد أن يتعلم العلم الإلهي، وفي حياة من يريد أن يخدم شعب الله الحسن العبادة؟ هذا بحاجة أكثر إلى نعمة الله وإلى بركة الله التي يستمطرها وبشكل أساسي من جملة الأمور التي يستطيع أن يستمطر بها نعمة الله ألا وهي الصوم والصلاة.

وهنا أنتقل لكي أربط بين المقطع الإنجيلي والمقطع الذي سمعناه من الرسول بولس في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس، حيث يقول الله على لسان النبي إني سأسكن فيهم وأسير فيما بينهم وأكون لهم إلهاً ويكونون لي شعباً، ويرجع ويقول: أكون لكم أباً وتكونون لي بنين وبنات يقول الرب القدير.

وهذا يكون نفس ماسمعناه عن الإيمان وعن الصلاة وعن الصوم قبل قليل، يذكرنا الرسول في هذا المقطع أن الله يتكلم ويقول عن نفسه بصيغة المتكلم ويخاطب شعبه ويكونون هم لي بنين وبنات وأكون لكم أباً يقول الرب القدير.

هذا الإيمان، العلاقة مع الله لها طابع شخصي أي العلاقة الشخصية مع الله، الإيمان ليس مجرد إقرار نظري أن هناك الله موجود وأني أؤمن بإله واحد جالس في السماوات وأنا على الأرض، لا ياأحباء،(وأكون انا لك) يخاطب الله كل واحد منا، أي الرب يقول أكون لك يافلان أباً وتكون لي يافلان ابناً، إذاً يوجد علاقة حميمية الواحد منا يدخل في شركة حقيقية بالإيمان مع الرب، والإيمان أكثر من مجرد فلسفة وأفكار جميلة ومعلومات جميلة ولكن الإيمان يشمل حياة الإنسان بكامله عقله وقلبه وحواسه وجسده، الإيمان يتغلغل في كيان الإنسان حتى في جسده لذلك كما تعرفون نكرم نحن ذخائر القديسين وعندنا قديسين لم يفسد جسدها ونقول مثلاً القديس سابا المتقدس لأنه لم يفسد جسده ولم ينحل بل تقدس جسده بنعمة الرب.

يتغلغل الله في حياتنا وأقوالنا وتصرفاتنا وأقوالنا وكلنا نُجبل في جبلة الرب فندخل في حياة جديدة في الرب يسوع وهذا كما نعلم يحصل في المعمودية، أنتم الذين بالمسيح اعتمدتم المسيح قد لبستم، ماذا يعني المسيح قد لبستم؟

أي إذا كان لكم إيمان كحبة الخردل نستطيع أن نصنع العجائب، إذا كان عندنا إيمان بالرب يكون هذا الرب إلهي وأكون أنا له ابناً.

أيضاً تلاحظون على لسان النبي والمقطع الذي يستخدمه الرسول بولس يتكلم ويخاطب الجماعة أي أن لايستطيع كل واحد ان يصنع كنيسة لنفسه وهو منفرد ويجلس على رأس جبل ويخاص لوحده ويقول أنا وربي علاقتنا ولي لنا علاقة بأي أحد.

يوجد الجماعة لذلك يقول أكون لكم وتكونون أنتم لي بصيغة الجمع يخاطب شعبه ويخاطب الجماعة فالواحد منا يخاص في الكنيسة وهنا ايضاً دور الأسرار الإلهية، كما تعرفون

في الليتورجيا أن الواحد ينتمي ويصبح عضواً في جسد المسيح يسوع ويصبح عضواً في الأسرار الإلهية حيث يكون الرب حاضر ونحصل على بركة الرب بحلول الروح القدس الذي نتقدس بنعمته.

نحن نقول هذا الكلام لكي نتذكر ونؤكد في بدء هذا العام الدراسي أن العلم الإلهي الذي نتعلمه مهم جداً وعلينا أن ندرس كلمة الرب ونتعرف عليها وأن الجهل قاتل ومميت والواحد منا يجب أن يتعرف على كلمة الرب ويجب أن يفهم كلمة الرب وأن يحيا بموجب هذه الكلمة الإلهية ولايكتفي فقط بأن يفهم كلمة الرب وهذا مهم ولكن ممكن أن يكون سيف ذو حدين فقد يؤدي إلى هلاك نفسه، كلنا نعرف أنه يوجد كثيرين كانوا أذكياء جداً وتعلموا كلمة الرب وصاروا هراطقة. إذاً سيف ذو حدين والضابط له الحد الثاني هو أنك تعيش بموجب هذه الكلمة وتتقدس وتحل عليك نعمة الرب وتصبح أنت أداة تقديس للآخرين وشهادة للرب في هذا العالم الذي نعيش فيه.ما هو المقياس الذي يساعدنا أن نقع في جهة اليسار وأن نعرف ما هو؟ الإتضاع والصلاة والصوم لنجاهد دوماً ونلتمس معونة الرب ويوجهنا في الطريق القويم.

فالرب الإله يعطينا في بداية هذا العام أن كل واحد منا مع الأساتذة والطلاب وكل العاملين في هذا المعهد وكلنا جميعاً الموجودين مع بعضنا البعض في هذا الدير الشريف الذي يحمل اسم السيدة العذراء ومعهد القديس يوحنا الدمشقي الذي يتكنّى بالقديس يوحنا الدمشقي وجميع القديسين هذه القدرة ليستطيع الواحد منا أن يشد همته ويجعل هذه البداية مبنية على صخرة وتكون بداية كلها جدية رصينة وهو مصمم أن يقتنِ كل ما يستطيع أن يقتنيه بالفكر وبالقلب وبالكيان وبالحياة أن ينمو الواحد بالمعرفة .

صلاتي إلى الرب من أعماق قلبي وكلنا نرفع هذه الصلاة مع بعضنا البعض أن نكون في نهاية العام بنعمة الله والفضل دائماً له وليس لنا أن نكون قد حققنا شوطاً على صعيد كل حياتنا وكياننا وقلبنا وذهننا وأن يقتني الرب الواحد في حياته وحواسه وأعضاءه وأن تتحول لنبع عطاء ونبع قداسة وبالرب يسوع ويكون أداة شهادة أن الر ب جميل وأن الحياة مع الرب جميلة ولكن يجب أن نعيش هذا الجمال ويجب أن نحس هذا الجمال ويجب أن نفرح في حياتنا مع الرب وعندما نكون فرحين في حياتنا مع الرب الناس يرونا بالفعل يشاهدوننا فرحين ولسنا يائسين ولكن كل هموم الدنيا نلقيها أمام قدمي الرب ونكون فرحين وآنذاك نشهد أمام الناس أن الحياة مع الرب هي لذيذة وطيبة ويتعلمون منا ونكون أداة تمجيد للرب، ليكن هو المبارك وهو الممجد إلى الابد آمين.